

دراسة

عفاف عبد الرحمن

تذكرت مقالة للصحفي والكاتب العراقي المعروف حسن العاني، نشرها في مجلة ألف باء، يحكي فيها قصة والي في بغداد فتح أبوابه للشكاوى. جاءه احد الأيام رجل يشكي له صغر منزله الذي يعيش فيه هو وزوجته وأولاده التسعة ووالدته ووالده. أحال الوالي قضيته إلى الوزير الذي كان سياسياً محنكاً، فقال الوزير للرجل مشكلتك سهلة سألها لك. خذ هذا الخروف وادخله معكم في الغرفة، وبعد أسبوع التقيك. وبعد أسبوع جاء الرجل للوزير وهو يشي سوء الحال بسبب الخروف المضاف على عددهم الكبير. فقال له الوزير هذه سبع دجاجات ادخلها معكم في الغرفة. بهت الرجل وقال أين؟ أمره الوزير بالعودة بعد أسبوع. وبعد أسبوع عاد الرجل والإرهاق باد عليه ولما سأله الوزير عن حاله خر باكياً وقال لم نتم لمدة أسبوع فبين معمة الخروف وأصوات الدجاج وقذارتهم، كدنا نموت. قال الوزير الآن اخرج الخروف وعد بعد أسبوع. عندما عاد الرجل كان حاله أهون وقال للوزير لقد ارتحنا قليلاً من صوت الخروف. أمره الوزير بإخراج الدجاج من الغرفة والعودة إليه بعد أسبوع. عندما عاد الرجل بعد أسبوع كان مرتاحاً وشكر الوزير وقال له أنا مرتاح جداً في بيتي حتى أنني أراه واسعا. فقال له الوزير لقد حلت مشكلتك!!!

ويبدو انه كتب على العراقيين أن يعيشوا عمرهم كله تحت ظل من يشبه ذاك الوزير. فالأمور في العراق بقت على حالها منذ خمس سنوات. حركة الأعمار تكاد تكون معدومة، البنى التحتية في حالة يرثى لها، البطالة ازدادت ولم تقل، الوضع الصحي ازداد سوءاً، الوضع الأمني مع الخطة الأمنية التي لا زالت مستمرة في بغداد ومنذ أكثر من سنة لا يزال هشاً.. ولكننا لا ننسى إنجازات الحكومة الكثيرة والعديدة لا مجال لذكرها في هذه العجالة!!!

لأول مرة من خمس سنوات يحتفل العراقيون بمولد الرسول الكريم. عمت الفرحة منطقة الأعظمية.. وانها على الزوار من كل حدب وصوب. الفرحة تنتقل بين الناس فانطلق الجميع بالاحتفال.. أتمنى أن يديم الله الفرحة على العراقيين فقد شبعوا أحزاناً وآلاماً.. عسى أن يكرمنا الباري عز وجل بقليل من الفرح وكثير من الأمان.. عيد الربيع عاد مرة أخرى محملاً بالآمال.. لعلنا نزهر ونورق كالأشجار والزهور. لعلنا نتم بالآمان، ونرفل بالأفراح، ونغني مع الأطياف، ويعمل العاطل ويعود المهاجر للأوطان.. عاد الربيع.. لعلنا نلتفت إلى الإعمار بدل الانحجار.. ونرى بسمه الطفل وهو يستقبل أباه عائداً من العمل وليس من القتال.. هي آمنيات عادت مع الربيع.

ليس خطأ أن تقول هذا مذهبي.. لكن الخطأ أن تكره الطرف الآخر.. أن تقتل الطرف الآخر.. أن تهجره من بيته.. أن تحرق ممتلكاته.. أن تؤذي أطفاله.. أن تخطف الميعل.. لقد عرفنا (نحن أهل بغداد) طول عمرنا إن العائلة الفلانية من كذا مذهب.. وتعرف العوائل بطيب الأصل وأولاد.. والعائلة المعروفة يحترمها الكل.. لم يقف اختلاف الطائفة أمام الشراكة بالعمل أو الجيرة الطيبة أو الصداقة القوية الحقيقية أو الزمالة الحقة، ولا حتى الحب الذي يجمع اثنين ليكونا عائلة مختلطة.. وهذا كله لم يبلغ مذهب الفرد لأنه أمر خاص بالشخص واعتقاده وما يفرق بين المذاهب قليل وما يجمعهما القرآن والسنة وهو كثير.. ومن ينظر إلى العراق اليوم يجد إن المشكلة ليست طائفية كما أريد لها أن تبدو ولكنها سياسية ونتيجة لتدخل قوى أجنبية متضادة لا تزال تعمل على أرض العراق..